

خطاب جلالة الملك خلال افتتاح
أشغال مؤتمر القمة الفرنسي الإفريقي السادس عشر بلابول

ألقى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خطابا خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر السادس عشر لقادة فرنسا وإفريقيا، الذي انعقد بمدينة لابول الفرنسية.
وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

سيادة رئيس الجمهورية الفرنسية

لقد جرت العادة بالنسبة للمشاركين في مؤتمر دول فرنسا وافريقيا، أن يتوجهوا بتشكراتهم للبلد المضيف ولسكانه ولسلطاته على كرم الضيافة وحفاوة الإستقبال والراحة المعنوية والمادية التي تخصص لهم.

واسمحوا لي أن أستبق الوقت وأقول لكم اننا نعتبر منذ الآن أن المؤتمر قد انتهى لأنه مؤتمر المشاعر والصداقة ووحدة المصالح، وإني ألمس هذه الوحدة من خلال حضور أشقائي الأفارقة قادة الدول الإفريقية أو من ينوب عنهم في هذا المؤتمر.

ومما لا شك فيه أن المؤتمر السادس عشر، الذي يجمعنا اليوم ينعقد في ظروف خاصة جدا ذلك أن تحولات هائلة وجذرية تجرى بالعالم منذ السنة الماضية.

لقد كان بإمكان إفريقيا أن تبقى بمعزل عن هذه الهزات والتحولات التي نلمسها من حولنا وخاصة في قارتكم سيادة الرئيس، لكن إفريقيا جد منفتحة على العالم، الأمر الذي لا يسمح لها بأن تبقى بمعزل عما يجري حولها.

إن ما يجري في العالم اليوم هو بمثابة إعادة للنظر في الموازين الدولية.

وهكذا تجد افريقيا نفسها ملتصقة بالقضايا الأوربية سواء كانت سياسية أو دستورية.

لقد حصلت أغلبية البلدان الافريقية الواقعة جنوب الصحراء، التي كانت تخضع للإحتلال الفرنسي على الإستقلال غداة سنة 1960 بفضل السياسة التي نهجها الجنرال دوغول. ومنذ ذلك الحين اختار كل بلد من هذه البلدان، بكل إرادة حسنة وبكل مسؤولية وسيادة النظام الذي أعتقد أنه يلائمه. فقد اعتبرت بعض البلدان عن حسن نية بأن النظام الاشتراكي يلائمها أكثر من غيره من الأنظمة، فيما ارتأت بلدان أخرى أنه من الأفضل الاقتداء بالنموذج الغربي، اعتقادا منها أنها ستجد في ذلك ضالتها. وحرصت بلدان أخرى على التوفيق بين هذين النظامين ونجحت على أية حال في تسيير شؤونها. لكن الوضعية ويا للأسف خطيرة بالنسبة لإفريقيا حاليا وأود أن أؤكد بأنه إذا كانت هذه الوضعية خطيرة بالنسبة لإفريقيا، فإنه لا يتعين تحميل كامل المسؤولية لهذه القارة. والسبب في ذلك هو أنه من الصعب على البلدان الإشتراكية بأوربا الشرقية - بالرغم من الإمكانيات التي تتوفر عليها - أن تغير اتجاهها كلية للعيش في إطار نظام إجتماعي إقتصادي جديد. فما بالكم إذن بالبلدان الإفريقية السائرة في طريق النمو التي تجد نفسها مجبرة - لكي لا تصبح في عزلة - على تغيير اتجاهها كلية بهدف مجاراة المجموعة الدولية.

وبهذا الخصوص، أنا على يقين من أنني سأجد في رئيس الجمهورية الفرنسية، الذي سيحصل لي بعد قليل، شرف تسليمه رئاسة هذا المؤتمر إليه، ليس فقط رئيس الدولة النبيل الذي نعرفه ولكن أيضا



أحسن رسول سواء على صعيد الإخلاص أو الفصاحة أو الفعالية وذلك إذا ما طلبنا منه تبليغ رسالة.

يجب علينا إذن أن نساعد بلداننا الإفريقية، التي يتعين عليها أن تغير اتجاهها كلية. وأعتقد هنا أن المشاكل واضحة. فالمشاكل ليست نفسية بل هي مسألة إطار ووسائل مادية. ولكن هناك من سيقول، أنني تطرقت فقط لصنف واحد من بلدان افريقيا ولم أتطرق للصنف الثاني، الذي لم يختر طوعا ومنذ البداية النهج الإشتراكي وأقول ـ وأتوجه هنا إلى رئيس الدولة الفرنسية السيد فرانسوا ميتران، الذي هو أيضا صديق كل واحد منا وصديق الأفارقة أجمعين ـ بأنه يتعين في هذا المجال على فرنسا وعلى بلدان أوربا الغربية، أن تعيد النظر في تعاونها في إطار التعاون بين بلدان الشمال والجنوب.

إن هذا التعاون لا ينبغي أن يكون ماليا ولا اقتصاديا، بل ينبغي أن يكون في الواقع احتضانا حقيقيا لمساعدة الديمقراطيات الفتية على التطور دون ضغط أو إكراه، ودون أن يطلب منها أن تتحول بين عشية وضحاها من نظام الحزب الوحيد الى نظام التعددية الحزبية. فكيف يعقل أن يطلب من البلدان الإفريقية الواقعة جنوب الصحراء أن تستوعب في ظرف ثلاثين، بل في ظرف سنة ونصف أو سنتين، مسألة التعددية وتجعلها ملائمة للهياكل العتيقة لكل بلد، وتتم اللعبة الديمقراطية كاملة كما نراها في بعض بلدان أوربا الغربية.

إن جمهوريات أوروبا الغربية شهدت تقلبات كبيرة، ليس فقط خلال عشرات السنين وإنما خلال قرون، وفي السنة الماضية احتفلت فرنسا نفسها بالذكرى المائتين للثورة الفرنسية، وأعتقد أن هذا البلد شهد ما بين 1789 و 1990 تعاقب عدد من الأنظمة، التي لم تكن متشابهة، وحتى في ما يخص النظام الجمهوري فإن فرنسا رغبة منها في تحسين هذا النظام اعتبرت أنه يتعين عليها أن تعمل على تحسين مؤسساتها وإعادة النظر في بنية هذه المؤسسات، ليس من حيث أسسها وروحها وأهدافها وإنما من حيث ملاءمتها للحقائق العالمية الداخلية أو الإقليمية، التي يشهدها كل جيل، فقد ادركت فرنسا أنه يتعين بين الحين والآخر إعادة النظر ليس في روح هذه المؤسسات بل في الهياكل التي ترتكز عليها الجمهورية.

كم كانت دهشتنا ونحن نرى أن البعض اكتشف في ظرف شهرين أو ثلاثة أشهر عيوب نظام الحزب الوحيدأو على الأقل عيوب النظام الإشتراكي، الذي تبنته بعض الدول الإفريقية قبل ثلاثين سنة ومثار دهشتنا هو أن اكتشاف مساوىء هذا النظام جاء بصورة مباغتة وبعد ثلاثين سنة، من إقامته قد يكون نظام الحزب ساهم في هذه الوضعية، ولكن لا ينبغي أن نحمله كل المسؤولية، إذن فالتعاون الذي نطالب به الآن بين الشمال والجنوب، نطالب به من أجل أن تتم التحولات دون مشاكل، وحتى تتمكن الهيئات السياسية والنقابية في كل بلد إفريقي من أن تتعود على قواعد اللعبة، وتتعلمها وتعمل على تطبيقها بتنسيق مع أطرها، ذلك أن الديمقراطية تتطلب قبل كل شيء وجود أطر.

وفي المغرب ينص الدستور على أن «الاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمجالس الجماعية والغرف المهنية تساهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم»، ولا أدري هل هذا الفصل مستوحى من دروس استاذي موريس دوفيرجي أم هو نابع من قناعة تكونت بفضل الممارسة العملية؟ فالاحزاب السياسية والهيآت النقابية هي وحدها التي يمكنها أن تنهض بمسلسل الديمقراطية. لكن يتعين أن تقوم هذه الهيئات بدورها في تبليغ ما يتوجب تبليغه في الوقت المناسب، وهذا ليس تدخلا مني في شؤون الغير، لكن دفعني إلى ذلك الحرص وهو حرص مشروع، لأنني أقول دائما إن المغرب يشبه شجرة تمتد جذورها المغذية امتدادا عميقا في التراب الإفريقي وتتنفس بفضل أوراقها التي يقويها النسيم الأوروبي.

والواقع أن المغرب يبحث عن نسيم جديد بفضل هذه الأوراق، عبر إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا وكذا عبر العلاقات المتميزة التي أقامها مع القوى الغربية منذ قرون. لكنه لم ينس ولن ينسى أبدا أن جذوره العميقة وجذور عبقريته، وثقافته، جذور إفريقية وعربية إفريقية.



وأنتهز هـذه الفرصـة التي أتيحت لنا جميعـا ، لأتطرق الى القضـايا الـدولية . وهكـذا أدعو دول أوروبا الغربية ، ليس إلى التساهل بل إلى أن تولي إهتماما أكبر لما يحدث ، وأن تكون أكثر تسامحا ، لأنني أعتبر كما نعتبر جميعا ، أن حضارة شخص أو بلد ما تقاس بمـدى قابليته للتعايش والتسامح سواء على الصعيد السياسي أو الديني .

أتوجه إليكم جميعا ، وإليكم سيدي رئيس الجمهورية بالأخص ، لأقول لكم أن المشكل الإفريقي الأساسي الآن ليـس هو المشكل الإقتصـادي والمالي ، لأن الشعوب لاتموت بـالفقر وإنما تموت بـالذل . ولهذا لا ينبغي أن تـذل الـدول الإفـريقيـة لأنها لا تستحق ذلـك ولا داعي لأن تخجل هـذه الـدول من نفسها ، بل العكس عليها أن تتعلم . وإذا كانت هذه الـدول قد تعلمت فعليها أن تخلق الطبقة المؤهلة للدخول في المسلسل الديمقراطي دون تدخل الدول الأجنبية ، وهذا يتطلب بكل تأكيد التكنولوجيا أي نقل التكنولوجيا على صعيد المؤسسات ، بطبيعة الحال ولكن بالشكل المطلوب .

إن نقل عقل إليكتروني هـو نفس الشيء بـالنسبـة للجميع لكن المطلـوب هـو تنظيم الـدواليب والمهام وتـوزيع المسؤوليات وخلق حوار بين القـاعدة والقمة والعمل على أن يقوم المحـرك بمهمته على أحسن وجه .

وأعتقد أن ذلك يتطلب الوقت و التحلي بالصبر .

أصدقائي الأعزاء سيداتي وسادتي

هذا كل ما كنت أريد أن أقوله لكم ، وأعتقد أن الموضوع الذي تطرقت إليه هو موضوع كيفما كان طوله أو قصره يمكن أن تكتب حوله مجلدات ومجلدات .

وأملنـا جميعـا أن نلتقي خلال المؤتمر القـادم مطمئنين مـرتـاحي البـال ـ ليـس لما أنجزنـاه ــ بل للخطوات الأولى وللإنجازات التنظيمية الأولى التي نكون قد حققناها .

وندعو الله عز وجل أن يهبنا التضامـن والحكمة الضروريين والصبر ، وخاصة التلاحم لأنه بدون التضامن والتلاحم لن تتمكن إفريقيا من العيش .

وحينما نقول إفـريقيا لا نفرق بين إفريقيـا الواقعة شمال الصحراء وإفـريقيا الواقعة جنـوبها ، لأننا نعتبر ذلك مجرد تحديد جغرافي حيث أنه لم توجد أبدا حواجز بين الشمال والجنوب .

ونسأل الله كـذلك أن يهدي كافة الـدول الغربية إلى المزيد من السخـاء والإرادة الحسنة لأنها دول شريكة لنا وتصبح مستقبلا أكثر ارتباطا بنا .

ومرة أخرى أنا سعيد جدا بأن يحصل لي شرف تسليم الرئاسة لصديقي رئيس الجمهورية الفرنسية السيـد فرانسـوا ميتران الـذي تعرفت عليـه شخصيـا منذ سنـة 1955 وسمعت عنـه قبـل ذلك سنـة 1953 عندما أحدث ضجة هائلة بتقديمه لإستقالته .

وأظن أنه برصيـد كهذا ، فإن كلمة صداقـة بمدلولها الحقيقي هي التي يجب أن تطبع عـلاقاتنا ، وشكرا لكم .

26 ذو القعدة 1410 ـ 20 يونيو 1990